يحيى النحوي . من هو ومتى كان ؟

حل مشكل تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

قياماً بوعدنا في العدد السابق نتقدم على درس مسألة حارت فيها عقول الكتبة المحدثين ولعلّهم زادوها تعقيداً بابحاثهم وهي مسألة يحيى النحويّ الذي روى عنهُ المؤرخ المسلم جمال الدين القفطيّ (راجع المشرق ١٣ : ٩٥٧) انّهُ ادرك ايّام العرب وفتحهم لمصر وانهُ دخل على عمرو بن العاص اميرهم فسألهُ ان يجود عليهِ بخزائن كتب اليونان التي جمعها بطليموس المعروف بفيلاذلفوس فاستشار عمرو في امرها الخليفةَ عمر بن الخطّاب فتقدّم بحرقها بانياً حكمهُ على برهان ذي حدّين « فامّا انّها توافق كتاب الله ففيهِ عنها غنًى وامّا فيها ما يخالفهُ فلا حاجة اليها »

فهذه الرواية قد سبق لنا البحث في صحّتها دون القطع بها في ردودنا على محمّد طاهر التنير كاتب مجلّة الكوثر (راجع المشرق ١٤ : ١٥٨ و٢٩٩ ولا سيّما ٣٨٨) وابرزنا الادلّة التي تؤيّدها مع ذكر الحجج التي من شأنها ان تنفيها او تضعفها . وكان اخصّ الاسباب الموجبة لريبنا انّ العلماء يشكّون في كون يحيى النحوي عاش الى ايّام العرب لانّهُ لو ادرك زمانهم لكان بلغ نيّفاً و١٦٠ سنة وهذا ممّا يندرُ جدًّا ولا يصحّ القول بهِ الّا اذا اثبتتهُ الاسانيد الصادقة . ومن ثمّ انكر كثيرون صدق هذه الرواية وعدّوها من الخرافات ونسبوها اوّلاً الى ابن العبريّ زاعمين انّ التعصّب الديني حدا بهِ الى روايتها في كتابه مختصر تاريخ الدول . وقد بيّنا في مقالاتنا السابقة انّ المسلمين سبقوهُ الى ذكرها ورووا للعرب من حرق الكتب واتلافها في بلاد اخرى ما يؤيد خبر حريق مكتبة الاسكندريّة . ومهما كان من الامر بقي المشكل التاريخيّ بصدد يحيى النحويّ قُرى من هو ؟ ومتى عاش ؟ وهل ادرك الفتح الاسلاميّ لمصر حتى عرفهُ عمرو بن العاص ؟

فالجواب عن هذه الاسئلة يقضي بمراجعة كلّ ما كُتب عن يحيى النحوي وما رواهُ قدماء المؤرخين عن وجدانهِ وترجمة حياتهِ وتآليفهِ

وما ينبغي بادئ بدْ التنبيه اليهِ انّ الكتبة اليونان لم يذكروا احداً باسم يحيى

النحوي وانَّما ذكروا باليونانيَّة رجلًا شهيرًا باسم يوحنَّا فيلوپونوس (Ἰωάννης ὁ Φιλόπονος) ومعناهُ «يوحنَّا الحريص على الشغل» وقد دعوهُ ايضاً بيوحنَّا الغراماطيقيّ (Ἰωάννης ὁ Γραμματικός) وكذلك السريان كيوحنَّا الأسيوي وميخائيل الكبير وابن العبريّ دعوهُ يوحنَّا او يوحنان فيلوفونس ويوحنان غرامطيقوس (ܝܘܚܢܢ ܦܝܠܘܦܘܢܘܣ ܓܪܡܛܝܩܘܣ). وهذا ما يذكرون عنهُ قالوا انَّ يوحنَّا فيلوپونس كان اصلهُ من مدينة الاسكندريَّة واحد تلامذة الفيلسوف أمونيوس بن هرمياس الذي ازهر في اواخر القسم الثاني من القرن الخامس وكان يعلّم في الاسكندريَّة نحو السنة ٤٨٠ وعاش الى اوائل القرن السادس. فانصبَّ يوحنَّا على علوم اليونان حتى برع في كتب ارسطو وافلاطون والَّف في الفلسفة كتباً عديدة تشهد لهُ بطول الباع صبر بعضها على آفات الدهر فنُشرت طبعاً في البندقيَّة من ذلك شروحهُ على كتب ارسطاطاليس في انالوطيقا (طُبع سنة ١٥٠٤) وفي النفس (سنة ١٥٣٥) وفي ولادة الحيوانات (سنة ١٥٢٦) وكتاب الظواهر (سنة ١٥٥١) وكتاب فيزيكا او الطبيعيَّات (سنة ١٥٢٧) وتفسيرهُ على كتاب الفيلسوف نيكوماخس في الحساب ولهُ ردّ في ١٨ كتاباً على الفيلسوف الوثني پروكلوس في حدوث العالم طُبع سنة ١٥٣٥ ونُقل الى اللاتينيَّة فطبع في ليون سنة ١٥٥٧ ولهُ ردّ آخر على الفيلسوف جامبليك في نفي الاصنام

وهذه الكتب التي ذكرها اليونان عرفها العرب وعدَّدها ابن النديم في الفهرست بل ذكر غيرها ايضاً كما سترى وهو هناك يدعو يوحنَّا فيلوپونس بيحيى النحويّ كانَّهُ ترجم الى العربيَّة الاسم اليونانيّ السابق ذكرهُ مرَّتين (ص ٢٤٩) انهُ فسَّر كتابي ارسطو المعروفين بانالوطيقا الاولى والثانية وكتاب باري ارمنياس وكتاب السماع الطبيعيّ (ص ٢٥٠) وكتاب الكون والفساد (ص ٢٥١) قال ابن النديم: «شرح تامّ والعربيّ دون السرياني في الجودة». وكتاب الثاني عشر مسئلة التي نقضها يحيى النحوي على بروقلس (٢٥٣) واردف ابن النديم: «ذكر يحيى النحويّ في المقالة الاولى من النقض عليهِ انهُ كان في زمان دقلطيانوس القبطيّ بل على رأس ثلثمائة ملكهِ هذا صحيح». وكتاب في ان كلّ جسم متناهٍ فقوَّتهُ متناهية مقالة وكتاب الردّ على ارسطاليس (كذا) ست مقالات. وكتاب ما بال لارسطاليس

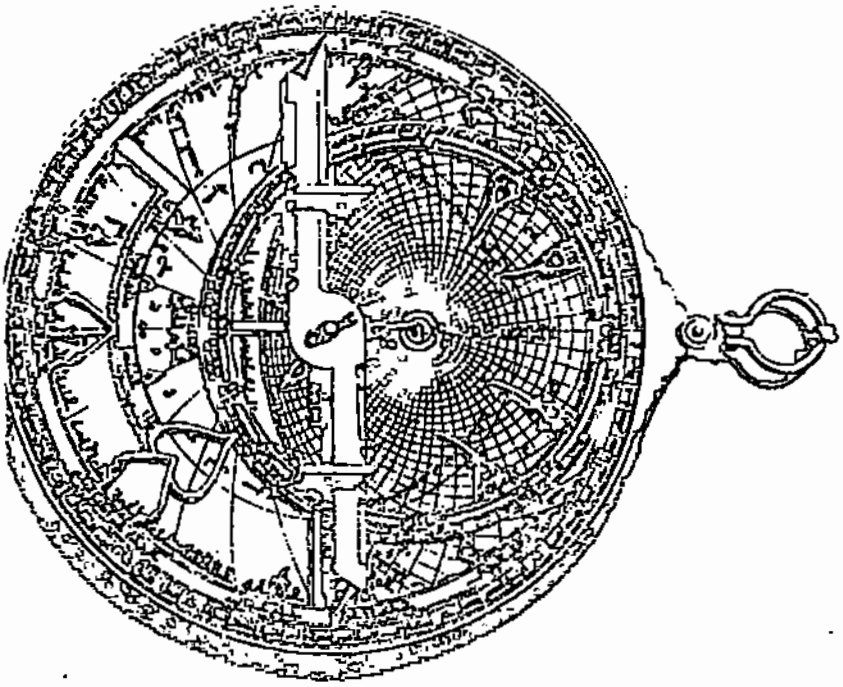

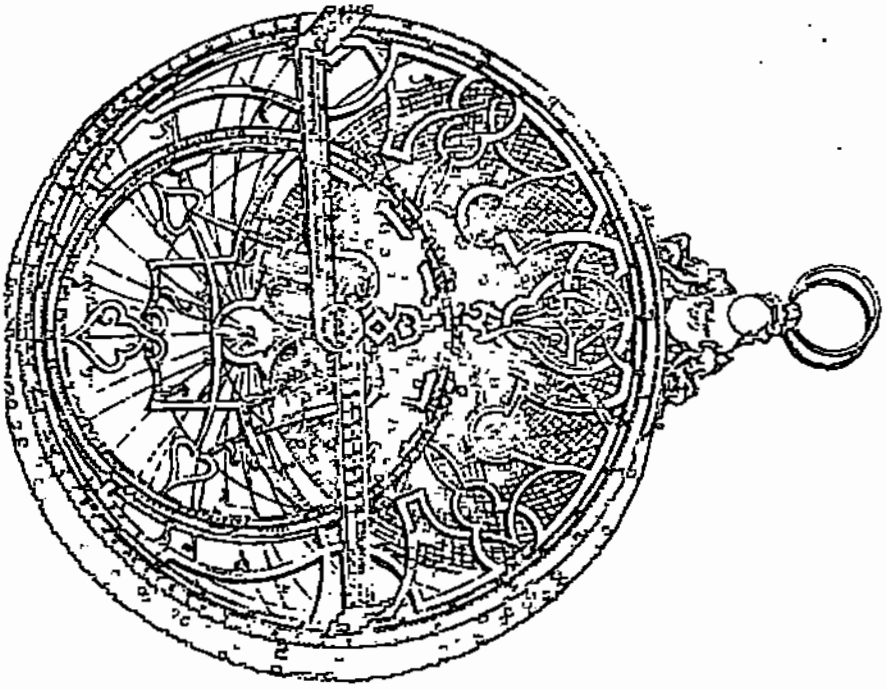

(ص ٢٥٩) . وكتاب تفسير اعضاء الحيوان (ص ٢٦٤) .

فكلّ هذه كتب فلسفيّة كتبها يوحنّا فيلوپونوس باليونانيّة وذكرها بعد ابن النديم جمال الدين ابن القفطيّ في تاريخ الحكماء (٣٥٦)

ومما يستفاد من كتبة اليونان والسريان والعرب عن يوحنّا المذكور انّهُ كان يعقوبيّ النحلة كما ورد في تاريخ يوحنّا الاسيوي وميخائيل الكبير والتاريخ الكنسيّ لابن العبريّ. قال ميخائيل (ص Ed. Chabot . II, 244): «وفي هذا الزمان (اي نحو ٥٥٠ للمسيح) عُرف يوحنّا فيلوپونس». ثمّ روى (ص ٢٥٥) كيف اتّبع بدعة القائلين بانّ في الله تعالى فضلًا عن الاقانيم الثلاثة ثلاثة جواهر وطبائع مختلفة وهي البدعة المعروفة بالمثلّثين (Tritheisme) التي كان ابتدعها يوحنّا المعروف باسقصناغيس (اسقصنلايس) فحرم بسببها وقد وقعت كتبهُ في ايدي يوحنّا فيلوپونوس فألّف فيها كتاباً ليدافع عن تعاليمها. فلمّا عرف به الاسكندريون حرموهُ كما حرمهُ رؤساء اديرة بلاد العرب نحو السنة ٥٧٣ (المشرق ١٥: ٣٠٧)

وما رواهُ هنا الكتبة اليونان والسريان عن بدعة يوحنّا فيلوپونوس اثبتهُ ايضاً العرب قال ابن النديم (ص ٣٥٣):

«كان يحيى تلميذ شاواري وكان اسقفاً في بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبيّة ثم رجع عمّا يعتقدهُ النصارى في التثليث فاجتمعت الاساقفة وناظرتهُ فظلبهم واستحقّتهُ وآنستهُ وسألتهُ الرجوع عمّا هو عليهِ وترك اظهاره فاقام على ما كان عليهِ وابى ان يرجع فاسقطوهُ»

ومثلهُ روى جمال الدين ابن القفطيّ مع بعض اختلاف في الرواية (قال ص ٣٥٤):

«يحيى النحويّ المصري الاسكندراني تلميذ شاواري كان اسقفاً في كنيسة الاسكندريّة بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبيّة ثم رجع عمّا يعتقدهُ النصارى في التثليث فأكسب الحكمة واستحال عندهُ جعل الواحد ثلثة والثلثة واحداً ولمّا تحقّقت الاساقفة بمصر رجوعهُ عزّ عليهم ذلك فاجتمعوا اليهِ وناظروهُ فغلب وزيّف طريقهُ فعزّ عليهم جهلهُ واستحقوهُ وآنسوهُ وسألوهُ الرجوع عمّا هو عليهِ وترك اظهار ما تحقّقهُ وناظروهم عليهِ فلم يرجع فاسقطوهُ عن المنزلة التي هو فيها بعد خطوب جرت»

وقال ابن العبري ملخّصاً ذلك في كتاب مختصر تاريخ الدول (ص ١٧٥):

« وفي هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميين يحيى المعروف عندنا بنرماطيقوس اي النحوي وكان اسكندرياً يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبيّة ويشيد عقيدة ساوري . ثم رجع عمّا يعتقده النصارى في التثليث فاجتمع اليه الاساقفة بمصر وسألوه الرجوع عمّا هو عليه فلم يرجع فاسقطوه عن مقرلته »

فكلّ هذه النصوص متناصرة في ايضاح امر ثانٍ من امور يوحنّا فيلوپونوس اي تشيّعهُ لليعقوبيّة ثمّ انتصارهُ لبدعة جديدة في الثالوث الاقدس اذ قسم الثالوث ونسب الى جوهرهِ الوحيد ما لا يصحّ الّا على اقانيمهِ عزّ وجلّ . وقد عدّد كتبة اليونان والسريان والعرب انفسهم التآليف التي وضعها في آرائهِ الدينيّة . فبعضٌ منها مستقيمة الرأي كتآليفهِ في ستّة أيام الخليقة الذي ذكرهُ فوطيوس في مكتبتهِ الشهيرة (Bibl. Photii, cod. 43 et 240) وكتابهِ في الفصح . وكتابهِ في الردّ على تاودورس المصّيصي (Id. ap. Migne, 8a, 9b) ولعلّهُ الكتاب الذي دعاهُ صاحب الفهرست (ص ٢٥٤) بالردّ على نسطوريس . وبعضها مناف للتعاليم الصحيحة ككتابهِ عن الثالوث الاقدس الذي ذكرهُ القديس يوحنّا الدمشقي في مقالتهِ عن البدع (Migne, P. G. t. 94, p. 743) وكتابهِ ضد المجمع الخلقيدوني (Photius, cod. 55 et 75) وكتابهِ في قيامة الاجساد (Id. cod. 21)

هذا ما شاع من امر يوحنّا فيلوپونوس واتّفق فيهِ تقريباً اليونان والسريان والعرب الّا في قول العرب بانّهُ « كان اسقفاً » ولم يقل بهِ احد غيرهم . وممّا تفرّدوا بهِ قولهم بانّهُ عاش الى زمن فتح مصر وعرف فاتحها عمرو بن العاص قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٥٤) : « وعاش (اي يحيى النحوي) الى ان فُتحت مصر على يدي عمرو بن العاص فدخل اليهِ واكرمهُ ورأى لهُ موضعاً ». وقال جمال الدين ابن القفطي (ص ٣٥٤) : « وعاش (اي يحيى النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندريّة ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلم واعتقادهُ فلازمهُ وكان لا يكاد يفارقهُ » الى آخر ما رويناهُ سابقاً في الشرق (١٣ : ٩٥٧) من قصّة مكتبة الاسكندريّة وحريقها . فليُراجع . ومثلهما قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ١٧٥) : « وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندريّة ودخل على عمرو . . . » الى آخر ما هناك وهو ملخّص عن ابن القفطي بلا مراء

ويستعمل ابن العبريّ نفس عباراته. والعجب انّ ابن العبري لم يرو هذا الخبر في تواريخه السريانيّة الكنسيّة والمدنيّة التي طبعها العلماء آبلوس (J. B. Abbeloos) ولامي (T. J. Lamy) وبيجان اللعازاريّ ما يدلّ على انّ ابن العبري لم يجد شيئاً من ذلك في كتب السريان

هذا وقد تفرّد العرب عن اليونان والسريان في امر آخر وهو ذكرهم كتاباً في التاريخ ليوحنّا النحويّ رووا منهُ بعض قطع منها نبذة رواها ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٦) تحت هذا العنوان « ذكر اوّل من تكلم في الطبّ » اوّلها : « على رأي يحيى النحوي وجد في تاريخهِ على الولاء رئاسة الى ايّام جالينوس ثمانية الخ » واتبعها بسرد اسماء الاطبّاء . وبعد ان روى كلاماً عن « غير كلام يحيى » قال (ص ٢٨٧) : « رجعنا الى كلام يحيى » فذكر قولهُ عن جالينوس وبقراط . وفي الصفحة (٢٨٩) منهُ قال : « ومنذ وفاة جالينوس الى عهدنا هذا على ما اوجبهُ الحساب الذي ذكرهُ يحيى النحوي واسحاق بن حنين بعدهُ تسع مائة سنة » ثمّ نقل عن تاريخ يحيى النحويّ ما كتبهُ في مدح ذياسقوريدس . وكذلك ابن القفطيّ نقل شيئاً من التاريخ المنسوب الى يحيى النحوي (ص ١١—١٢) في ذكر اوّل من اظهر الطبّ ثمّ نقل (ص ٩٢) ما ورد من ذلك في الفهرست بحرفهِ دون التنبيه اليهِ كما اثبتنا ذلك في ما نقلهُ عن ابي قاسم صاعد الاندلسيّ في كتاب طبقات الامم . وكذلك نقل عن الفهرست (ص ١٨٣) ما رواهُ ابن النديم عن تاريخ يحيى النحوي في مدح ذياسقوريدس

وكما تفرّد العرب عن سواهم من السريان واليونان في نسبة التاريخ ليوحنّا النحويّ كذلك نسبوا اليهِ دون غيرهم تشاغلهُ بالطبّ فقال ابن النديم (ص ٢٥٥) :

« ولهُ (اي ليحيى النحويّ) تفسير لبعض من كتب جالينوس في الطبّ . . . قال وذكر يحيى في المقالة الرابعة من تفسيرهِ لكتاب السماع الطبيعيّ كلاماً في الزمان فضرب مثالاً قال فيهِ « مثل سنتنا هذه وهي سنة ثلث واربعين وثلثمائة لدقلطيانوس القبطي » فهذا يدلّ على انّ بيننا وبين يحيى النحوي ثلثمائة سنة وثيف ويجوز ان يكون فسّر هذا الكتاب في صدر عمرهِ لانهُ كان في ايّام عمرو بن العاص »

وقد نقل جمال الدين ابن القفطيّ (ص ٣٥٦) كجاري عادتهِ هذا الكلام عن

الفهرست دون التنبيه الى اصلـه . لكنهُ اتبعهُ بفصل غريب عن يحيى النحويّ نوديهِ هنا بحرفهِ (ص ٣٥٦—٣٥٧) وهو قد نقلهُ عن تاريخ ضاع اليوم لعبيدالله ابن بختيشوع قال :

« وذكر عُبَيْد الله بن جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع الطبيب انّ اسم يحيى ثامسطيوس (١ قال وكان قويّاً في علم النحو والمنطق والفلسفة . . . قال وإن كان (يعني يحيى) قد فسّر كتباً كثيرة من الطبيّات فلقوّته في الفلسفة أُلحِقَ بالفلاسفة لأنّه أحد الفلاسفة المذكورين في وقته وسبب قوّته في الفلسفة هو أنّه كان ملّاحاً يعبّر الناس في سفينته وكان يحبّ العلم كثيراً فإذا عبر معه قوم من دار العلم والمدرس الذي بجزيرة الاسكندريّة يتحاورون فيما مضى لهم من النظر ويتفاوضونه فيسمعه فحثّ نفسهُ للعلم فلمّا قوي رأيهُ في طلب العلم فكّر في نفسه وقال : قد بلغتُ نيّفاً وأربعين سنة وما ارتضتُ بشيء ولا عرفتُ غير صناعة الملاحة فكيف يُمكنني أن أتعرّض لشيء من العلوم وفيما هو يفكّر إذ رأى نملةً قد حملت نواةَ تمرة وهي دائبة تصعد بها فوقفت منها قعادت وأخذتها ولم تزل تجاهد بها حتى بلغت تمرتها واتيت بها مقصدها فلمّا رآها يحيى النحويّ قد بلغت بالمجاهدة غرضها قال : إذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة والمناصبة فبالحري أن أبلغ غرضي بالمجاهدة . فخرج من وقته وباع سفينته ولزم دار العلم وبدأ بتعلّم النحو واللغة والمنطق فبرع في هذه الأمور لأنّهُ أوّلُ ما ابتدأ بها فنُسِبَ إليها واشتهر بها ووضع كُتُباً كثيرةً منها تفاسير وغيرها »

هذا مجمل ما نعلمهُ عن يحيى النحويّ يضاف اليهِ قول جمال الدين ابن القفطي (ص ٥٥) انّ اوليطراوس الطرسوسيّ الطبيب الملقّب بالهلال ثمّ (ص ٥٦) اريباسيوس الطبيب الاسكندراني ثمّ (ص ٢٦٢) فوليس الاجانيطيّ الطبيب كانوا بعد يحيى النحويّ في اوّل الملّة الاسلاميّة

فبعد هذه المعلومات يجب ان نستخلص منها صادق الخبر عن يحيى النحويّ ونتفي ما لا يمكن اثباته بحثّ الانتقاد فنقول :

(اوّلاً) يتّفق الكتبة اليونان والسريان والعرب في اثبات وجود رجل يُعرف بيوحنّا فيلوپونوس اي المجتهد او يوحنّا غرامطيقوس وهذا الاسم الثاني قد عُرّب بالنحوي فسماهُ العرب يحيى النحويّ

(ثانياً) يتّفقون ايضاً في تعريف صفاتهِ فهم مجمعون على القول بانّهُ كان

---

١) والصواب ان ثامسطيوس الفيلسوف عاش في ايّام يحيى النحويّ

قوس الانتصار الذي نصبه البلغار في ادرنة

فيلسوفاً اسكندريّ الاصل واسع المعارف الفلسفيّة مفسّراً باليونانيّة لكثير من تآليف ارسطو

(ثانياً) يروون ايضاً بالاتفاق انّهُ كان نصرانياً يعتقد اعتقاد اليعاقبة معاكساً تعاليم المجمع الخلقيدونيّ في طبيعتي المسيح الالهيّة والانسانيّة

(رابعاً) ولا يختلفون بنسبة بدعةٍ جديدة اليه سواء قالوا انّهُ هو السابق اليها كما ظنّ الكتبة اليونان او انّهُ انتصر لها بعد مبتدعها المسمّى يوحنا اسقصناغيس كما روى السريان فحُرم كلاهما بسببها وهي بدعة القائلين بتثليث الجوهر الالهي فضلاً عن اقانيمه

(خامساً) بل اتّفقوا ايضاً تقريبا بتعيين زمن ظهور يوحنا فيلوپونوس فانّ اليونان يجعلونهُ من تلامذة أمونيوس بن هرمياس الذي كان يعلم في الاسكندريّة نحو السنة ٤٨٥ الى اواخر القرن الخامس واوائل السادس . وكذلك يذكرون مناظرتهُ للفيلسوف يسبليقيوس وذلك قبل السنة ٥٢٩ للمسيح . لانّ يسبليقيوس خرج في تلك السنة الى بلاد الفرس . ويؤخذ من كلامهم انّ هذه السنة ٥٢٩ انتهى يوحنا من تآليف ردّه على الفيلسوف بروقلس في قدم العالم كما ذكر في آخر كتابه . اما السريان والعرب فيقولون انّهُ كان تلميذاً لشاوراي او ساوراي اعني ساويرس بطريرك انطاكية الدخيل واوّل بطاركة اليعاقبة الذي اشتهر بنصرة المذهب اليعقوبيّ بين السنة ٥١٠ الى سنة وفاته ٥٤٠ للمسيح (١ . فينتج من ذلك انّ مولد يوحنا فيلوپونس لا يمكن تأجيلهُ الى ما فوق السنة ٤٨٠ للمسيح

(سادساً) تفرّد العرب وحدهم بقولهم انّ يحيى النحويّ كان اسقفاً بمصر في الاسكندريّة او في احدى مدنها وهو قول لا يصدق مطلقاً عن يوحنا فيلوپونس اذ لم يدخل المذكور في سلك الكهنوت . كذلك لم يقل غير العرب انّ يحيى النحوي اشتغل بالطبّ وألّف فيهِ . وهم وحدهم ذكروا لهُ تأريخاً ورووا منهُ بعض المقاطيع

(سابعاً) امّا بلوغ يحيى النحويّ الى زمن الفتح العربيّ لمصر الذي جرى السنة ١٨ للهجرة (٦٤٠) فهو ايضاً من مرويّات العرب وحدهم او من نقل عنهم كابن

---

١) وقيل انهُ توفي سنة ٥٣٩ . وقد جاء في العدد السابق ٥٣٠ بالغلط

العبريّ . وهذا من الامور التي لا يمكن التسليم بها بلا سند اذ توجب القول بانّ يحيى النحوي عاش من السنة ٤٨٠ الى السنة ٦٤٠ فتكون حياتهُ وقت الفتح ١٦٠ سنة على الاقلّ . وان لم يكن هذا مستحيلًا الّا انّهُ نادر جدًّا وان ثبت فعلًا اشار اليهِ المكتبة لغرابتهِ وليس احد من المكتبة ذكر انّ يحيى فيلوپونس كان من المعمّرين فادرك سنًّا كهذا .

حلّ المشكل

فان كان الامر كذلك ولا يمكن التسليم بان يوحنّا فيلوپونوس عاش الى زمن العرب أفنقول اذن ان كتبة العرب اختروعوا روايةً لا صحّة لها فخدعوا بالسراب مع انّ هؤلاء الكتبة قريبو العهد من الفتح الاسلاميّ لمصر لا سيما ابا الفرج ابن النديم الذي كتب بعد فتح عمرو بن العاص لمصر بثلثمائة وخمسين سنة فقط وكتابهُ الفهرست نسيج وحدهِ في الدقّة وسعة المعارف يدلّ على انّهُ كان ممتّعًا بمكتبة كبيرة ذات التآليف النادرة المفقودة اليوم . ومثلهُ جمال الدين ابن القفطي الذي جاء في ترجمتهِ انهُ كان حاصلًا على مكتبة كبيرة

كلّا ولا بُدَّ من حلّ المشكل على وجهٍ آخر سبقنا اليهِ صاحبا المقتطف في سنتهما الثامنة والثلثين سنة ١٩١١ (ص ٢٣٦ و٤٤٢) حيث لخّصا ما كتبهُ اليهما «جرجس افندي فيلوثاوس عوض من ادباء الاقباط المدقّقين في التاريخ»

فنحن مع شكرنا لمن اماط القناع عن وجه الحقيقة نعود الى الامر لاثباتهِ واضافة الادلّة اليهِ فنقول :

(اوّلًا) لا شكّ في انهُ وجد رجلان اطلق عليهما العرب اسم يحيى النحوي.

(ثانيًا) الواحد وهو الشهير بيوحنّا فيلوپونوس اي الحريص على الشغل ازهر منذ العشر الثاني للقرن السادس وكان يُعرف عند اليونان بالغرامطيقيّ الذي ترجمهُ العرب بالنحويّ وكان الاحرى بهم ان يعرّبوها بالاديب اذ الغرامطيق عند الرومان واليونان كان يشمل عدّة فنون حتّى الانشاء والبيان والخطابة والكتابة ويوحنا هذا اشتهر خصوصًا بالفلسفة ثمّ انكبّ على درس اللاهوت والعقائد الدينية فضلّ عن الايمان اذ تبع اضاليل اليعاقبة والنوتليين اي ذوي المشيئة الواحدة وانتحر لبدعة

جديدة جعلت في الله تعالى ثلاثة جواهر لوكيانات مختلفة فاسقطوهُ هو وبدعتهُ . اما زمن موتهِ فمجهول . وعلى كلّ حال ينبغي القول بأنهُ توفي قبل الهجرة بنحو اربعين سنة

(ثالثاً) امّا الثاني الذي عُرف بيحيى النحويّ فهو كاتب مصريّ عاش قبل الفتح المصريّ وبعدهُ زمناً طويلاً وهو يُدعى يوحنّا النقوي او النخوي اسقف نخو المعروفة عند اليونان بنيقيوس او نيكيو (Nikiou) وعند اللاتين باسم Niciu او Nichium وقد اتّسع بوصفها العلّامة الشهير بمعارفهِ الشرقيّة كاترمار في كتاب مذاكراتهِ عن مصر (Quatremère: *Mémoires sur l'Égypte*, I,423) واثبت هناك انّها هي مدينة بشاتي (Pschati) ثمّ عُرفت باسم ابشاي وعلى رأي كتبة المقتطف « انهـا مدينة قرب منوف في مديريّة المنوفيّة من اعمال القطر المصريّ » فتصحّف اسم يوحنّا النخويّ على نوعين اوّلاً بان أبدل اسم يوحنّا بيحيا وذلك لانهم قديماً كانوا يكتبون « يحنّا » وكانوا يهملون النقط فصارت « يحا » فقرأوها « يحيا ». وثانياً بان ابدلوا « النّخوي » للسبب عينهِ « بالنحوي »

(رابعاً) وزاد وهمهم بان وجدوا بين يوحنّا فيلوپونس (اي يحيى النحوي) ويوحنّا اسقف نخو (يحيى النخوي) تشابهاً في بعض الاحوال اذ كان كلاهما مصريّاً وفقيهاً وكاتباً وكلاهما ايضاً مدافعاً عن المذهب اليعقوبيّ وقد حكم الاساقفة على كليهما لاسباب مختلفة فجعلوا الاسمين لمسمًّى واحد

(خامساً) ويثبت قولنا ما وجدوهُ من آثار يوحنّا اسقف نخو او نيقيوس واوّل من اورد شيئاً من تاريخهِ ساويروس ابن المقفع في تاريخهِ لبطاركة الاسكندريّة اذ ذكرهُ في تاريخ يوحنا السنُّودي (ed. Seybold. I, 129-130) حيث روى انّ الابا (الانبا) حنا اسقف نيقيوس حضر وفاة البطريرك المذكور سنة ٦٨١ للمسيح واجتمع مع بقيّة الاساقفة لانتخاب خلفهِ المسمّى جرجه واذ لم يرضَ بهِ عبد العزيز بن مروان والي مصر اختاروا بدلاً منهُ المسمّى اسحق فبقي ثلاث سنين ومات (٦٨٣ م) وخلفهُ سيمون فترأس على كنيسة الاسكندريّة سبع سنين. وفي ايامهِ اجتمع الاساقفة لمحاكمة يوحنا اسقف نيقيوس (يحيى النخوي) فاوجبوا عليهِ القطع عن الاسرار والسبب انّهم كانوا سلّموهُ تدبير اموال الديارات وسياسة الرهبان

في مصر فبلغهُ انَّ بعض الرهبان اتوا بذنب كبير فعاقب واحدًا منهم وضربهُ ضرباً مبرّحاً مات منهُ بعد عشرة أيام . لكنَّ يوحنا غضب على الاساقفة الذين قطعوهُ واختاروا آخر بدلاً منهُ وتوعّدهم بغضب الله عليهم قال ابن المقفَّع (ص ١٣٥): «وبعد أيام قلائل تمَّ كلام الاسقف القديس على الاساقفة الماعدين على قطعهِ»

ثمَّ وجدوا ليوحنا هذا تاريخاً كتبهُ بعد فتح العرب لمصر بسنين قليلة وفيهِ يذكر تفاصيل ذلك الفتح كمؤرخ عيانيّ وما جرى بين الروم والعرب من المناوشات والمعارك الى ان استقرَّ الامر للمسلمين. فهذا التاريخ كتبهُ يوحنا اسقف نيقيوس باليوناني فُقِد الاصل لكنَّ احد الاقباط كان عرَّبهُ بتصرُّف واختصار وهذا التعريب نفسهُ اخذته ايدي الضياع ولعلَّهُ موجود في زوايا بعض اديرة الصعيد. وكان احد الاحباش عمد الى تلك الترجمة العربية فنقلها الى الحبشيَّة. فهذه الترجمة الحبشيَّة يوجد منها نسختان في مكتبة باريس العموميَّة فنشرها قبل ٣٠ سنة المستشرق الفرنسوي زوتنبرغ (H. Zotenberg) ونقلها الى الفرنسويَّة وعرَّف خواصها وما يستفاد منها لتعريف المؤلف وفتح العرب لمصر

هذا ما يُعرَف من احوال يوحنا اسقف نيقيوس (يحيى النحويّ) الذي عرف العرب وعاش نحو اربعين سنة بينهم بعد استيلائهم على مصر ولا بُدَّ انَّهُ يكون اختلط بهم بصفة كونهِ احد زعماء النصارى واساقفتهم ووكيل اديرة رهبانهم فاحتاج ليسعى العرب كوسيط بينهم وبين مواطنيهِ الاقباط وقد ذكر في تاريخهِ دخولهم الى مدينة نيقيوس او نحو كرسيّ ابرشيَّتهِ

وكذلك يجب القول انَّ معرفتهُ بالتاريخ واخبار العرب استوقفت انظار فاتحي مصر فأنسوا بهِ ولاسيما زعيمهم عمرو بن العاص . ولعلَّ المنافرات الجارية بينهُ وبين اهل ملَّتهِ زادتهُ تقرُّباً من العرب ونفوراً من قومهِ

ويظهر من تاريخهِ انهُ كان موالياً لقورس البطريرك الاسكندري زعيم المونوثليين الذي يدعوهُ العرب بالمقوقس وناصرهم في فتح الاسكندريَّة. فهذه الصداقة قرَّبت يوحنا اسقف نيقيوس (يحيى النحويّ) من العرب ومن عمرو ونيسهم. وكذلك في تاريخهِ المذكور نبذة عن اوَّل من وضع الطبّ كما روى ابن النديم

فالحالة هذه نفهم كيف امكن كتبة العرب ان يخلطوا بين رجلين ويجعلوهما

شخصاً واحداً نسبوا اليه اعمال الاثنين . فالفيلسوف الاسكندريّ مفسّر ارسطو هو يحيى النحويّ اليوناني والمبتدع لبدعة تثليث الطبائع في الله عزّ وجلّ . والاسقف المؤرخ صاحب عمرو بن العاص الذي عاش الى زمن العرب وخالطهم هو يحيى النحويّ اسقف فيقيوس او نحو

ومنهُ يتّضح قول صاحب الفهرست بعد نقله شيئاً من اقوال يحيى النحويّ : «وهذا يدلّ على انّ بيننا وبين يحيى النحويّ ثلثمائة سنة ونيف ... لانهُ كان في ايّام عمرو بن العاص» وقد قلنا انّ صاحب الفهرست ألّف كتابهُ سنة ٣٧٧ للهجرة اي ٩٨٧ للمسيح فان طرحنا ٣٠٠ من ٩٨٧ بقي ٦٨٧ وهذا يوافق ما ورد في تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفّع عن زمن يوحنا اسقف نحو

وان سأل سائل وهل يُعرَف ليوحنا هذا تآليف فلسفيّة فجوابنا ان ذلك من المحتمل وفي تاريخه ما يدلّ على معرفتهِ للآراء الفلسفيّة وعلى كل حال انّ اشتغالهُ بالتاريخ كان يوجب مطالعة كتب عديدة ومنهُ يتّضح اقتراحهُ على عمرو بان يسلّمهم خزائن كتب اليونان لمعرفتهِ باليونانية اذ كتب هو في هذه اللغة تاريخهُ . ومن المحتمل ايضاً ان يوحنا اسقف نيقيوس اشتغل بتفسير كتب جالينوس في الطبّ وانّ كتاب السماع الطبيعيّ الذي ورد ذكرهُ في الفهرست هو من تصنيفهِ والله اعلم

فهذا ما خطر على بالنا في هذه المسئلة التي لا نرى لها وجهاً قريباً للحلّ غير ما ذكرنا والله الموفق الى الصواب

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٢ على طريق بغداد

كان اليوم الثاني والعشرون من تشرين الثاني يوم وداعنا للموصل فقدّمنا الذبيحة الطاهرة لآخر مرّة في كنيسة الآباء الدومنيكان التي هي اجمل كنائس الموصل ذات ثلثة اسواق من الطرز الرومانيّ البوزنطي يعلوها قبّتان مرتفعتان